

أدبية ترجمة القرآن الكريم عند المستشرق حاك بك

د. مزارى شارف

لعلّ السبب المباشر لظهور الترجمة يعود بالأصل إلى تباين اللغات الإنسانية، هذا التباين هو الذي جعل عملية تعلم اللغات أمراً حتمياً، كي يتم التعارف على ثقافات الشعوب والأمم المختلفة وأفكارها، ويحدث التقارب والتلاقي والتلاحق.

والواقع أن الترجمة تصوب الألفاظ والمعاني والأسلوب، وتركز على الجانب الدلالي فيها، ولعله العنصر المهم في عملية الترجمة. فالدال والمدلول مرتبطان بالتراكبات الثقافية والفكرية والإنسانية عبر الأزمنة والعصور. لأن الأمم تعرف من خلال كتابها ومؤلفاتهم التي تعرض سير هذه الأمم وحياتها وتطورها في مناحي الحياة المختلفة. وهنا تبرز الترجمة بصفاتها عنصراً فعالاً ومهماً وضرورياً. هذا على صعيد الكتابة البشرية.

وهناك أمم أخرى بالإضافة إلى مثقفها ومفكرها وطروحاتهم وآرائهم في الفكر والسياسة والأخلاق، نلّف لها كتباً مقدسة أخرى توجهها وتؤطرها في مجال الدين والعلم والفضيلة، على أن ذلك بالتحديد ينطبق على الأمة الإسلامية التي لها كتابها المقدس المجسد في كتاب الله العزيز، وهنا يحصل الالتفات إلى الترجمة بإلحاح شديد، ترجمة هذا الكتاب العظيم.

لا جرم أن الله أمر نبيّه - r - بالتبليغ في قوله تعالى: [يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك] [المائدة: ٦٧].

والتبليغ آلية من آليات الدعوة إلى الله سبحانه وإلى دينه الحنيف: «وإذا كانت رسالة الإسلام رسالة عالمية، وكانت حكمة الله البالغة قد اقتضت جعل لغات الناس التي يتفاهمون بها ويتواصلون لغات متعددة ومختلفة، فقد كانت الترجمة وسيلة مهمة في إيصال رسالة الإسلام إلى الناس كافة» (١).

ولقد نزل القرآن الكريم بلغة عربية رجحته لأن يكون نقطة الانعطاف التأسيسية للمعرفة البيانية منذ حادث النزول؛ حيث صدر الفحوى القرآني في تقريراته وتوجيهاته وتأصيلاته انطلاقاً من هوية هذا الكتاب الكريم، التي هي لسانية عربية قبل كلّ شيء.

وعلى ضوء ذلك كله، اغتدت دراسة النص القرآني تستدعي النظر إليه على أنه مصدر ذو صلة بالجانب التاريخي لهذه اللغة. لذا فأى محاولة لترجمة القرآن تقتضي الإحاطة الكاملة بهذه اللغة في نحوها وصرفها وبلاغها، «فالمترجم ملزم بالتعامل مع النص المصدر ولغته حرفياً، بينما يتعامل مع لغة الترجمة على أساس مرجعيتها القواعدية، وذلك بتطبيق أسس النحو والبلاغة والدلالة على النص المصدر ليتمكن من فهمه وتفسيره وتحويله بعد ذلك» (٢).

ولا يغيب على أحد أن القرآن الكريم في بدايته نزل على أمة تستميز بلسان عربي فصيح وبيان غاية في الإعجاب؛ لذا لم تطرح عليهم مسألة ترجمة القرآن.

أما حين بدأت رقعة الإسلام تتوسع شيئاً فشيئاً، ودخل في هذا الدين الجديد أمم وشعوب وحضارات، وصلها الإسلام، أو وصلت إليه، وهي لا تعرف هذه اللغة، أو يصعب عليها فقه طبيعتها وبيانها وجمال تركيبها؛ فهنا كانت الصعوبة في فهم هذا الدين وهذا الكتاب المقدس. على أن هذه الصعوبة قد حصلت من جانبين:

أ - جانب يتعلق بالشعوب التي دخلها الإسلام، أو جاءت إليه بغرض الدخول فيه، وتعلم اللغة التي نزل بها كتابه المقدس. وهذه الشعوب

أعجمية لا تنطق بلغة الضاد، ولعلها الصعوبة الأولى التي تؤدي إلى قصور في فهم هذا الدين، وإدراك الرسالة التي جاء بها.

ب - جانب يتعلق بالمبلغين وهم الدعاة؛ إذ يشهد العالم لغات كثيرة يحياها في شتى أنحاء المعمورة، مما يشكل حجر عثرة أمامهم، إذ كيف يبلغ إلى عالم تعددت فيه اللغات، وكثرت، وهو يجهل هذه اللغات ولا يعرفها؟! «فعلى سبيل المثال لا الحصر، يتحدث سكان القارة الإفريقية بما يزيد عن ٤٠٠٠ لغة، ولدى بعض دول تلك القارة ما يقرب من مئة لغة، كنيجيريا، وكينيا، ويقدر علماء اللغات أن عدد لغات العالم يصل إلى ما بين ٢٥٠٠ - ٥٠٠٠ لغة موزعة على القارات الخمس، وتقول الإحصائيات في هذا الشأن: إن حوالي ثلثي سكان العالم يتحدثون ٢٧ لغة فقط؛ بينما يتحدث الثلث الآخر بقية اللغات» (٣).

من هنا تتجلى أهمية الترجمة أداة إجرائية من شأنها التقليل من حدة هذا المشكل، ومن ثم تسهيل فهم الخطاب الديني المجسد في القرآن الكريم وتيسيره. غير أن في الأفق مشكلاً آخر يعترض المترجم، فهو لا يستطيع أن يباشر كتاب الله إلا إذا تسلح بمعارف جليلة قمينة أن تمنح له رخصة ترجمة القرآن. ولعل أولها الإلمام بعلم اللغة وصرفها وبلاغتها، ومعرفتها معرفة جيدة، وضرورة فهم الخصائص البلاغية والبيانية التي تتمتع بها اللغة العربية، ثم التعرف إلى التفسير العمدة لكتاب الله عز وجل؛ فهي بمثابة مفاتيح دلالية يعتمد عليها لبناء التفسير الشخصي؛ فالمترجم والمفسر بينهما تشاكل وتباين في عملية التفسير أو الترجمة، لأن كلا منهما يسعى إلى فهم النص بهدف نقله من اللغة الأصلية إلى اللغة الثانية، فلا يبتعد عمل المترجم في هذا المساق عن عمل المفسر «لذا يكون استنباط التفسير ناتجاً عن إدراك شامل لجميع التفسيرات السابقة للنص، وبعدها يلجأ المترجم إلى تفسيره الخاص، الذي يختلف أو يتشابه مع غيره من التفسيرات، ولكن تبقى هذه الخطوات ضرورية لإنتاج نص مترجم، يقترب أكثر من دلالات النص المترجم» (٤).

لقد ارتبط التفسير عند العرب والمسلمين في مراحل الأولى بالنص القرآني، فقد كان الرسول (r) نفسه يقوم بتفسير الآيات، ثم الصحابة من

بعده، وهي تفسيرات مقتضبة تشمل الألفاظ حيناً والمعاني حيناً آخر، إلا أن الحاجة إلى التفسير أصبحت ملحة، واشتدت حين حدث التفاعل بين اللغات، فحصل الاختراق وضعفت ملكة العرب اللغوية، حينها أصبح التفسير ضرورياً، فظهرت تفسيرات عدّة لغوية وأدبية وفنية وجمالية، ونظراً للتمكنين الذي يحدثه في المتلقين، وللاستجابة والتجاوب والانفعال الذي ينتج عنه، جاءت خطورته في هذه الوجهة، الأمر الذي استدعى تحديد شروط عدّة ينبغي أن تتوافر في المفسر؛ وهي:

١ - الإحاطة الشاملة بسيرة الرسول ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - خاصة أيام التنزيل، لأن هناك حقائق تتصل بالتشريع والتنظيم وغيرهما، لها صلة وثيقة بحياة الرسول ﷺ من جهة، وحياة الصحابة من جهة أخرى، لأن القرآن كان ينزل للإشارة إليها، ولقبولها تارة، ولرفضها تارة أخرى.

٢ - المعرفة الكاملة بعلوم الحديث المختلفة، لأن السنة تفسر في أحيان كثيرة القرآن الكريم إما بجعل مقيده مطلقاً، وإما بجعل مجمله مفصلاً وهكذا. يضاف إلى ذلك اطلاعه على علم الجرح والتعديل وما يتصل بالرواة، وأنواع الحديث وغير ذلك مما له صلة بعلوم الحديث كما أسلفنا.

٣ - معرفة أسباب نزول الآيات والسياقات التي نزلت فيها شرط أساسي قبل الإقبال على التفسير، فلا يغرب عن متمرسي الشاهد القرآني أن آيات كثيرة في تفسيرها لا بد من الرجوع إلى أسباب نزولها.

٤ - الإلمام بعلوم أخرى كالفلسفة وعلم النفس وعلوم فنية كالإيقاع، لأن هذه العلوم تساعد على فهم النصوص القرآنية ذات الوجهة الفلسفية أو النفسية أو العقيدية أو الفنية الجمالية وغيرها، مما يجعل حضور هذه العلوم لدى المفسر أمراً محسوماً.

٥ - التحكم الكبير في علوم القرآن المختلفة من متشابه ومحكم وناسخ ومنسوخ وغير ذلك، مما له صلة بالتفسير.

٦ - أن يكون المفسر عالماً بتاريخ الأديان السماوية، وبخاصة التوراة والإنجيل، لأن الصراع وحملات التنصير والهجوم على الإسلام أمور ما تزال قائمة، مما يستلزم معرفة دقيقة بالأديان، حتى تتم المقارنة بينها،

ودحض الحجج ورد كيد الكائدين، ضمن هذا السياق، ينبغي الإمام أيضاً بالمداهب غير السماوية كالبرهمية والبوذية والمزدكية والمانوية وغيرها، حتى يحتاط المفسر لكتاب الله، فيحسن توجيه الآيات وترشيد الأحكام والآراء بأدوات إجرائية وفق تقنية مخصوصة، تجعل كتاب الله في تعالٍ أبدي عن التقويم.

«وإذا وجبت هذه الشروط التوفر فيمن يفسر كتاب الله، فهي أولى فيمن يترجمه، لأنه مفسر ومترجم»^٥.

فالمترجم - بحكم الوظيفة اللغوية التي يؤديها - تكون الإحاطة عنده شاملة تتجاوز حدود التفسير والمفسر معاً، لأن هذا الأخير يتعامل مع النص القرآني بلغة واحدة، فهو يفسر القرآن الكريم المكتوب باللغة العربية باللغة نفسها التي نزل بها. لكن المترجم يقرأ النص بلغته التي تنزل بها ويفسره وينقله إلى لغة ثانية أو ثالثة وهكذا؛ فالمترجم يظل استيعابه للنص المراد ترجمته قوياً وواسعاً؛ لذا كانت الشروط التي يجب توافرها في المفسر، هي نفسها لدى المترجم، مع إضافة ضرورة إتقان اللغة المراد نقل الترجمة إليها وبها.

في أفق هذه الضوابط العلمية التي تحوز الرجاحة عند تقويم الترجمات، تظهر مشكلة أخرى عويصة، تتصل بالنص القرآني المخصوص بالترجمة. وهي ترجمة المعاني، ولعلها الصعوبة التي يستشعرها كل مترجم أو باحث يسعى إلى ترجمة معاني القرآن ونقلها بالصورة الدقيقة التي حملتها إياها اللغة العربية.

وهنا لابد من التذكير بأن بلاغة النص القرآني مميزة وفريدة، تنهض على المجاز، وتعرض بإيقاعية إعجازية خاصة، مما يجعل اللغات الأخرى غير العربية لا تستطيع مجارة اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، ومن ثم يستعصي عليها نقل المعاني بأمانة علمية موثقة من دون إضافة أو تحريف أو تغيير للمعاني، وبناء على هذا فإن معظم الترجمات جاءت سطحية، واهتمت بتبسيط معاني القرآن الكريم حتى يفهمها العامة. إن هناك آيات كثيرة يصعب نقل معانيها إلى لغة أخرى، كما هو الشأن في قوله تعالى: [هَنَّ لباسٌ لكم وأنتم لباس لهن] (البقرة: ١٨٧)؛

وفي قوله أيضاً: [فضحكت فبشرناها باسحاق] (هود: ٧١). والمقصود في الأولى: هن سكن لكم وأنتم سكن لهن؛ أي بمعنى كلّ منهما يحصن الآخر. وفي الثانية «الحيض»، فلا يمكن للغة أخرى فهم هذا المعنى أو نقله بالإحساس نفسه الذي نستشعره، ونحن نتلو الآية بلغة عربية.

وفي هذا السياق «أكدت د. ليلي عبد الرزاق عثمان - رئيس قسم اللغة الإنجليزية والترجمة الفورية بجامعة الأزهر - استحالة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى بالدقة نفسها التي جاءت بها اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، ونوهت الباحثة إلى أن القرآن يمكن أن تترجم كلماته حرفياً، لكن من الصعوبة بمكان ترجمة ما تحمله هذه الكلمات بباطنها من مدلولات ومعان، تمثل روح القرآن وسر بلاغته» (٦).

لقد ظهرت مشكلة أخرى تتصل بالفتوى أو بالحكم الشرعي في قضية ترجمة القرآن الكريم، ولعله من اللائق الإشارة إلى أن بداية ترجمته جاءت مع مطلع القرن الثاني الهجري، ولم تكن الفكرة ملحةً بالقدر الذي عليه عصرنا الحالي؛ إذ اشتد الصراع بين العلماء والجمعيات الدينية والهيئات الإسلامية العليا، فيما يخص الدعوة إلى الترجمة من جهة، أو تحريمها من جهة أخرى.

ولقد ازدادت حدة الصراع في نهاية القرن التاسع عشر مع ظهور الاستشراق، ومع ظهور الاستعمار الأوروبي الذي احتل معظم الدول العربية في القرن العشرين.

لكن الترجمة كفعل إجرائي ظهرت بصورة تلقائية، حين تداخلت اللغات، واتسعت الفتوح، واتسمت في بداياتها بالجزئية؛ «فقد روي أن أهل فارس كتبوا إلى سلمان الفارسي - t - يطلبون منه ترجمة سورة الفاتحة إلى اللغة الفارسية ففعل، وعرضها على النبي r، فلم ينكر عليه ذلك، وبعثها سلمان إليهم فكانوا يقرؤونها في الصلاة، حتى لانت ألسنتهم للنطق باللغة العربية. وفي رواية أخرى، أن سلمان - t - ترجم لهم قوله تعالى: «بسم الله الرحمن الرحيم» بقوله: بنام غداكي بخشائده مهربان» (٧).

على الرغم من أن هذا الشاهد يجوز الترجمة، إلا أن علماء المذاهب انقسموا تجاهها إلى مؤيد محلل ورافض محرم. فلقد «استند الإمام أبو حنيفة على الأثر القائل بأن سلمان الفارسي - t - ترجم سورة الفاتحة لأهل فارس، لما رأهم يقبلون على الدين الجديد، وغرضه من ذلك تطويع ألسنتهم للنطق بالعربية دون عجمة» (٨) هذا في بداية الأمر وقد صوّب الإمام مقاصد الشريعة ورأى المصلحة، حين اعتمد على هذا الأثر، فأجاز ترجمة القرآن والقراءة بها في الصلاة، غير أنه عاد مرةً ورجع عن رأيه فقال: «من كان (المصلي) قادراً على العربية ففرضه قراءة النظم العربي، ولو قرأ بغيرها قراءة النظم العربي، ولو قرأ بغيرها فسدت صلاته لخلوها من القراءة مع قدرته عليها...» (٩).

أبدى المذهب الحنفي حكمه مبكراً، فهو لم يحرم الترجمة بغرض فهم الخطاب، وإنما حرم حركية الفعل الديني المرتبطة بفرضية الصلاة وحكم القراءة بها لتأدية هذا الفرض.

أما المذهب المالكي «فلم يجز قراءة القرآن بغير العربية، فإن عجز المصلي عن النطق بالعربية، إنتم بمن يحسنها، فإن لم يجد سقطت عنه قراءة الفاتحة» (١٠).

هذا ما يتصل بقراءة القرآن مترجماً والصلاة به، أما من جهة الترجمة بوصفها نشاطاً قرانياً ثقافياً فلا مانع عندهم ولا حرمة في ذلك.

ونلفي الشافعية لا يحرّمون ترجمة القرآن لذاتها، وإنما يتقاطعون مع المالكية والأحناف في مسألة قراءة القرآن بلغة أخرى مترجمة له والصلاة بها.

وفي هذا الاتجاه قال الزركشي: «لا تجوز قراءته بالعجمية سواء أحسن العربية أم لا، في الصلاة وخارجها» (١١).

ولقد كان الحنابلة أكثر تشدداً في قضية الصلاة بقرآن مترجم؛ «فمن قرأ أم القرآن أو شيئاً منها أو شيئاً من القرآن في صلاته مترجماً بغير العربية أو بألفاظ عربية غير الألفاظ التي أنزل الله تعالى عامداً لذلك، أو قدم كلمة أو آخرها عامداً لذلك، بطلت صلاته وهو فاسق» (١٢).

ولعل المذاهب الأربعة في اتفاقها هذا تركز على آيات كثيرة منها قوله تعالى: [قرأنا عربية غير ذي عوج] (الزمر: ٢٨). ومعناها منزل بلغة عربية سليمة وفصيحة لا تشوبها شائبة، يستقيم فيها الأداء برحابة مخارجها وجمالية صوائتها.

وقد ذم القرآن من يقرأ القرآن بعجمة أو يستعين بلغة غير عربية، كأن يقرأه مترجماً، فقد قال تعالى: [يحرّفون الكلم عن مواضعه] [النساء: ٤٦].

وخلاصة هذا أن المذاهب الأربعة جاء موقفها نابعاً من الحرص الشديد على أن يبقى القرآن في منأى عن الترجمة التي تخل به كنص إلهي موحي، غير أن التحريم مسّ جهة معينة هي قضية الصلاة بالقرآن المترجم.

الترجمات الأولى للقرآن الكريم في أوروبا:

إن صعوبة ترجمة القرآن تكمن في المعاني الجليلة التي تضمنتها الآيات القرآنية التي سبقت في تراكيب مجازية غاية في البيان والإعجاز، وحازت راحة لا تضاهي، وتسامت عن المقارنة بصنواتها في الدرس البلاغي لدى الجاحظ والآمدي وابن رشيق وغيرهم؛ لذا كانت الترجمات الأولى ناقصة، ولم تف بالغرض المنشود؛ لذا «يمكن القول بداية إن الترجمات الأوروبية للقرآن الكريم قد مرت بأربع مراحل متداخلة، نجملها وفق الآتي:

المرحلة الأولى: مرحلة الترجمة من اللغة العربية إلى اللاتينية، وامتدت هذه المرحلة من القرن الحادي عشر الميلادي إلى القرن الثاني عشر منه.

المرحلة الثانية: مرحلة الترجمة من اللاتينية إلى اللغات الأوروبية.
المرحلة الثالثة: مرحلة الترجمة من اللغة العربية مباشرة إلى اللغات الأوروبية عن طريق المستشرقين ومن سار في فلكهم.

المرحلة الرابعة: مرحلة دخول المسلمين ميدان الترجمة إلى اللغات الأوروبية، واتصفت بعض هذه الترجمات بالعلمية، وشيء من الموضوعية، وقد بلغت ما يزيد عن ٤٥ ترجمة كاملة» (١٣).

ولقد كان لهذه الترجمة في المرحلة الأولى أثرها السلبي في المتلقي غير العربي، وقد أخلت بمعاني القرآن؛ بحيث انتابها نوع من التشويه والاضطراب، نتيجة التضييق على اللفظة القرآنية وشرحها شرحاً سطحياً لا يبتعد كثيراً عن مدلولها السطحي هذا. وبذلك لم تعرف الأبعاد الإسلامية في مجال العقيدة والأخلاق والمعاملات وعبادة الواحد القهار، والغاية الأسمى من كل ذلك، وغاب عن ذهنية المتلقين أن الإسلام دين جامع جاء إلى الإنسانية قاطبة، تتلخص فيه جميع الديانات السماوية ذات الفحوى الإلهي المجسد في الله العلي الجليل.

إن المتأمل في تلك الترجمات - باستثناء المرحلة الرابعة - يلفي أنها كانت تفقر إلى المنهجية العلمية الدقيقة، ولم تكن عملاً أكاديمياً بدافع حب الاطلاع، والخوض في معرفة الدين الإسلامي، واستثمار القيم النبيلة التي جاء بها ودعا إليها، أو لنقل لم يكن الغرض من الترجمات إجراء مقارنات بين هذا الدين الجديد والديانات السابقة المنزلة أو الديانات البشرية، ومحاصرة نقاط التلاقي والتماس ونقاط التشابه والتعارض، وإنما كانت هذه الترجمات «وهو الأهم عملاً أعد له عن سابق تخطيط وترصد، واحتاج تنفيذه إلى إرسال البعثات لدراسة اللغة العربية، وكان كل ذلك بتوجيهات أعلى سلطات دينية نصرانية.

والأمر الأخطر في هذا العمل، ليس مجرد الترجمة فحسب؛ وإنما الرد على القرآن والطعن فيه؛ إذ كان هذا هو القصد الأساس من وراء تلك الترجمات» (١٤).

أما المرحلة الرابعة التي دخل فيها المسلمون ميدان الترجمة إلى اللغات الأوروبية بداية من القرن العشرين؛ حيث ظهرت دعوات ملحة إلى ضرورة الإسراع إلى ترجمة القرآن الكريم الترجمة الشرعية والعلمية اللائقة بكتاب الله العزيز، التي تقف في وجه تلك الترجمات المغرضة المؤسسة وفق أهواء ونزوات، وأورثت الأوروبيين والعلماء

منهم من يشتغلون في حقل الديانات عداوة وبغضاء وكرهاً شديداً للإسلام والمسلمين.

لقد انبرى لهذه الهجمات الشرسة على الإسلام من خلال هذه الترجمات المغرضة عدد غير قليل من العلماء بمقالات ومؤلفات تدحضها وتلغيها بطرح البدائل الموضوعية؛ «منها مقال محمد رشيد رضا الموسوم» ترجمة القرآن وما فيها من مفاصد ومنافاة للإسلام» (١٥). كما صدرت كتب لكل من: محمد حسين مخلوف العدوي بعنوان: «حكم ترجمة القرآن وقراءته وكتابته بغير اللغة العربية عام ١٩٢٥ وكتاب «حجة الله على خليفته في بيان حقيقة القرآن وحكم كتابته وترجمته» لمحمد بخيت المطيعي عام ١٩٣٢، و«القول السديد في حكم ترجمة القرآن المجيد» لمصطفى الشاطر عام ١٩٣٢، و«حادث الأحداث في الإقدام على ترجمة القرآن» للشيخ محمد سليمان القاضي ١٩٣٦. كما نشر الشيخ محمد المراغي مقالاً في مجلة الأزهر عام ١٩٣٦ بعنوان: «ترجمة القرآن وأحكامها».

ترجمة جاك بيرك للقرآن الكريم:

لقد ظهرت ترجمات سابقة لكتاب الله العزيز، مهدت لظهور ترجمة جاك بيرك، وهي كثيرة، وتفادياً لتكرار مضامينها والآراء التي قيلت فيها ومحاسنها، نشير إليها باختصار، منها ترجمة أندري ١٦٤٧ ثم ترجمة سافاري ١٧٨١ وكاز مورشكي ١٨٤٠ وإدوارد مونتي ١٩٢٥ وترجمة أكتاف باسل، وأحمد تيجاني ١٩٣٢، ثم ترجمة ريجز بلاشير ١٩٤٦، ودونيز ماسون ١٩٦٧، وأندري شوراكي ١٩٩٠، وجاك بارك ١٩٩٠.

فالملاحظ لهذه الترجمات الفرنسية العديدة للنص المقدس الواحد وهو القرآن الكريم، يتأكد بصفة جلية قلق المترجمين وحيرتهم وحرصهم على نقل النص القرآني إلى اللغة الفرنسية بغرض المهاجمة وإثارة الشبهة، ولا يزالون، على الرغم مما يلف هذا العمل من إطراء وثناء وسلامة القصدية التي أظهرها المترجمون في مقدماتهم، كما تكشف هذه الترجمات بجلاء جدل النص المترجم مع النص الأصل، ويظل هاجس

التطلع إلى ترجمة أمينة ودقيقة قائماً يفسر ذلك ظهور ترجمات متتالية، كما أومأنا من ذي قبل «فالمترجم يضع نصب عينيه منذ اللحظات الأولى من خوضه غمار ترجمة النص المقدس أن ينتج نصاً جديداً يقول الشيء نفسه الذي يقوله النص الأصلي، ويرمي إلى الغاية ذاتها التي يرمي إليها هذا النص من خلال مقاصده ودلالاته» (١٦).

لكن بلوغ هذه الغاية ليس بالأمر الهين، لأن النص القرآني، بالإضافة إلى قدسيته، يتميز بتعبير لغوي أخاذ، وبجمالية تركيبية غاية في البلاغة والإعجاز، ولذلك تكون الترجمة وفيه إذا باشرت النص القرآني، واعتمدت على الأصول العربية من غير وساطة، كما هو الشأن بالنسبة إلى ترجمة لودوفيكو مراكي، لأنها «أكثر الترجمات إنصافاً للقرآن الكريم... إننا لا نملك ترجمة وحيدة للقرآن لا عيب فيها، وأكثرها إنصافاً هي الترجمة اللاتينية القديمة مراكي (١٦٩١ - ١٦٩٨) التي تستند عليها جميع الترجمات اللاحقة، من غير اعتراف في أكثر الأحيان» (١٧).

ونفلي إدوار مونتي صاحب «ترجمة القرآن» ١٩٢٥ من أكثر المترجمين تمرساً على هذا الفن قراءة وتنظيراً، بحيث كان يتبع كل الترجمات السابقة بالقراءة والنقد، ولقد أعجب بترجمتي كل من سافاري وكاز مورشكي، نظراً لكثرة الطبعات التي صدرت لهما، ويعلق بقوله: «إنه رغم أن ترجمة سافاري طبعت مرات عدة، وأنيقة جداً لكن دقتها نسبية» (١٨).

ويضيف قائلاً: «ولا يسعنا إلا الثناء عليها؛ فهي منتشرة كثيراً في الدول الناطقة بالفرنسية» (١٩).

على أن إدوار مونتي قد استفاد من الترجمتين المذكورتين، بتجنبه للنقائض التي شابتهما، فقام بترجمة القرآن بعناية عام ١٩٢٥، وقد تتبعها الباحثون العرب، فاستوقفهم، ومنهم الكاتب محمد فؤاد عبد الباقي الذي كشف عن سر إعجابه بهذه الترجمة حين قال: «كنت طالعت في مجلة المنار مقالاً للأمير شكيب أرسلان عن ترجمة فرنسوية حديثة للقرآن الكريم، وضعها الأستاذ إدوار مونتي وقد قال عنها: «إنها أدق الترجمات

التي ظهرت حتى الآن»، وقد نقل إلى العربية مقدمة هذه الترجمة، وهي في تاريخ القرآن وسيدنا محمد r، ونشرت في المنار، فاقتنيت هذه الترجمة، فوجدتها قد أوفت على الغاية في الدقة والعناية، وقد ذيلها المترجم بفهرس بمواد القرآن المفصل أتم التفصيل» (٢٠).

لقد تميزت ترجمة بلاشير ١٩٤٦ بإعادة ترتيب النص القرآني حسب نزول الآيات، ثم أعاد الترجمة بالترتيب الحالي حسب المصحف العثماني، وقد حازت أولويات خاصة لما تتمتع به من دقة، على الرغم من اعتمادها على الجانب التاريخي الذي جسده أسباب النزول، وقد أشار إلى ذلك الدكتور صبحي صالح بقوله: «تظل ترجمة بلاشير في نظرنا أدق الترجمات للروح العلمية التي تسودها، لا يقلل من قيمتها إلا الترتيب الزمني للسور القرآنية» (٢١).

أما الترجمة موضوع بحثنا، فهي تلك التي قام بها جاك بيرك المستشرق الفرنسي عام ١٩٩٠ «ولد جاك بارك سنة ١٩١٠ بمدينة فرنندة (الجزائر)؛ حيث تعلم فيها اللغة العربية وبعض المفاهيم والمبادئ الإسلامية، كان تأثير والده أوجيستان بيرك قوياً على مسار حياته العلمية، كما عمق معارفه حول الإسلام، حين التحق بجامع القرويين بالمغرب الأقصى ما بين ١٩٣٤ و ١٩٥٣، كما كانت زيارته المتكررة لمصر ذات فائدة في مجال الفكر الإسلامي، وبعدها كُلف بتدريس علم الاجتماع التاريخي للإسلام المعاصر في كوليج دو فرانس (١٩٥٦ - ١٩٨١)، عيّن عضواً ببعض المجامع اللغوية العربية كمجمع القاهرة، ودمشق والرباط. له مؤلفات كثيرة تزيد عن ٣٠ مؤلفاً. في أخريات حياته ترجم القرآن الكريم عام ١٩٩٠ توفي سنة ١٩٩٥» (٢٢).

جاك بيرك عالم الاجتماع الفرنسي المشتغل في حقل الإسلاميات يوجه عمله الترجمي هذا إلى المتلقين الذين يجيدون اللغة الفرنسية فقط. «وبهذا فالمترجم يؤكد أن النص القرآني لا يمكن ترجمته ترجمة دقيقة، وكل ما يقوم به المترجمون نقل معانيه إلى متلق لا يحسن اللغة العربية، ولكنه في الوقت نفسه متلق على علم تام أو جزئي بمفاهيم الدين الإسلامي، وإلا ستعكس النتائج ويفهم القرآن فهماً خاطئاً محرفاً؛ فلن يتمكن حينئذ غير

المسلم من فهم المعاني والدلالات القرآنية، وإن ترجمة نص مقدس إلى غير لغته الأصلية أو اللغة التي نزل بها، لن يكون في نظر المترجم إلا عملاً تقريبياً أو محاولة فقط لترجمته» (٢٣).

والواقع أن هناك آراء وأفكاراً قيلت في هذه الترجمة، منها رأي دانيا برموند «ترجمة متألّفة وناجحة جداً، فيها قوة الابتكار؛ بل أبعد من ذلك هناك تغنج في ثناياها، وربما يكون السبب محاولة تخطي صعوبات النص» (٢٤). ونلّف في عالم الاجتماع الجزائري مالك شبّال يشيد بهذه الترجمة، ويتعمق في التحليل، ويعلق عليها بقوله: «جاك بيرك قد اختار منحى شعرية لغة الترجمة، وكانت اللغة الفرنسية هي الأنسب ليتمكن من ترجمة كلمات مثل المنافقين ترجمة جذابة، في حين اختار كثير من المترجمين كلمة «مرائين» التي لا تؤدي المعنى الحقيقي للكلمة، وقد كان جلّ اهتمام جاك بيرك منصباً حول محاكاة جمال التراكيب العربية وأسلوبها النثري الساحر، وذلك بالاستبدال بها جملاً معرفة وأنيقة».

وكانت نتيجة الترجمة في نظر مالك شبّال: «ترجمة موفقة» (٢٥). يبدو أن تقاطعاً بين الرأيين في أن ترجمة جاك بيرك موفقة إلى حدّ كبير، لكن النظرة هنا قاصرة ومتسرعة؛ إذ سلّط الضوء على النص المترجم في غياب المقارنة مع النص الأصل، وهي دعوة الباحثة كاترينا رايس، التي ألحّت على ضرورة العودة إلى النص الأصل في عملية نقد الترجمات «لا نقد للترجمة من دون مقارنة بين النص الأصل والنص المترجم» (٢٦).

لقد أشار جاك بيرك في مقدمته إلى الآليات التي اعتمدها في ترجمته، منها مجموعة التفاسير التي منها ما هو قديم من نحو تفسير الطبري و«الكشاف» للزمخشري، وهي تفاسير مهمة. ومنها ما هو حديث كتفسير الألوسي محمود «تفسير القرآن والسبع المثاني»، وكذا الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، والسيد قطب «في ظلال القرآن»، ثم «صفوة التفاسير» للصابوني، و«أضواء البيان» لمحمد الأمين الشنقيطي، و«محاسن التأويل» لمحمد جمال الدين القاسمي.

١ - التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: اهتم فيه صاحبه بتتبع المعاني اللغوية والظواهر البلاغية، وأحياناً يفند ما ورد عند المفسرين قبله من أمثال الزمخشري، كما يستنبط الأحكام الفقهية أحياناً، ويشير إلى الطريقة المتبعة لديه بقوله: «ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط بها من الأغراض، لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصوراً على بيان مفردات ومعاني جملة، كأنها فُقرت متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه، وتحجب عنه روائع جماله» (٢٧).

اعتماد جاك بيرك على التحرر والتنوير يتمظهر في صورتين: الأولى ظاهرة، بحيث يوثق المترجم آراء بن عاشور على الهوامش، والثانية خفية تظهرها الجمل المترجمة. ونسوق مثلاً لذلك من قوله تعالى: [يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا] [التوبة: ٢٧] يترجم جاك بيرك بقوله:

«O vous qui croyez, les associant: ce n'est qu'être impur. Qu'ils n'approchent pas du sanctuaire consacrés cette année – ci» (28)

وهنا يحيل جاك بيرك إلى المصدر الذي أخذ منه فيقول: «كلمة نجس يحتمل أن تكون اسم فعل أي نجس بالتنوين، أو قد تدل على الصفة أي نجسين، أما في نظر طاهر بن عاشور فإن النجاسة في الآية معنوية وليست محسوسة» (٢٩).

وقد وردت عند الطاهر بن عاشور على هذا النحو: «يمكن القول إن نجس صفة مشبهة، وهي بذلك اسم للشيء الذي النجاسة صفة ملازمة له، وقد أنيط وصف النجاسة بهم بصفة الإشرak، فعلمنا أنها نجاسة معنوية وليست مادية» (٣٠).

قوله تعالى: [بل لله الأمر جميعاً، أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً] [الرعد: ٣١]. يفسرها الطاهر بن عاشور بقوله: «أي ليس ذلك من شأن الكتب بل لله أمر كل محدث، فهو الذي أنزل الكتاب، وهو الذي يخلق العجائب إن شاء» (٣١). وترجمها جاك بيرك بقوله:

«A dieu seul revient le décret. En totalité. Les croyants ne prennent – ils pas leurs parti de ce que dieu s'il le voulait guide les homes en totalité?».

٢ - جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن جرير الطبري:
يتميز بكونه أهم مرجع في التفسير بالمأثور؛ إذ يعرض فيه ما روى عن الصحابة والتابعين، كما يذكر القراءات المختلفة، ويذكر الشواهد الشعرية «وهو في كل هذا فقيه مجتهد يعالج آيات الأحكام بذكاء، فيذكر آراء العلماء، ثم يرجح بينها أو يذكر رأيه» (٣٣).

يرجع جاك بيرك في ترجمته إلى آراء الطبري فمثلاً قوله تعالى:
[والمحصنات من النساء] [النساء: ٢٤]. يرى الطبري أن «المفسرين اختلفوا في المحصنات التي عناهن الله تعالى، فقال بعضهم هن ذوات الزواج غير المسيبات منهن. وقيل العفائف منهن، فإذا حفظت المرأة فرجها فهي من المحصنات» (٣٤) ويترجم جاك بارك الآية بقوله:

«Et encore les préservées d'entre les femmes» (35).

بمعنى وكذلك المصونات من النساء.
فالمترجم هنا عنى بهن الحافظات لفروجهن فجعلنهن les préservées؛ أي حافظات ومحفوظات، ويعلق المترجم في الهامش أنه غير راض عن الترجمة، لأن ثمة كلمة أخرى تؤدي معنى المحصنات وهي fortifiées وهي أبلغ لكن المترجم لم يوظفها» (٣٦).

نموذج آخر: قوله تعالى: [إنا هدنا إليك] [الأعراف: ١٥٦] ومعناها «إنا تبنا إليك» (٣٧) فالمترجم حين أحال إلى تفسير الطبري أخذ منه معنى التوبة تائبين Repentants فترجمها:

«Oui nous revenons a toi repentants».

أما المعنى الثاني الوارد في بعض التفاسير وهو العودة Revenons لم يشر إليه لأنه تأثر بالطبري.

٣ - الكشف للزمخشري: يصنف ضمن التفسير بالرأي، وقد طعن غير واحد فيه، لأن صاحبه معتزلي المذهب، لكنه تفسير من وجهة أخرى يكشف عن جمالية المتن القرآني في الأسلوب والعرض والبناء اللغوي. في ترجمة جاك بارك نجد حضوراً مباشراً لتفسير الكشف؛

فمثلاً في قوله تعالى: [وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم] [الأنعام: ١٣٧] يفسرها الزمخشري بقوله: «كذلك مرتبطة بما قبلها أي مثل ذلك التزيين، وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى والآلهة. والمعنى أن شركاءهم من الشياطين أو من سدنة الأصنام زينوا لهم قتل أولادهم بالوآد أو بنحرم للآلهة ليردوهم أي ليهلكوهم، ليلبسوا عليهم دينهم أي يخلطوه عليهم» (٣٩) ونجد ترجمة جاك تعتمد التفسير نفسه.

«De même, Aux yeux de beaucoup d'associants sépare, du fait de leurs associés, le meurtre de leurs enfants: cela pour les exterminer; et aduler leur religion» (40)

٤ - روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي.

يجمع الألوسي في تفسيره بين المسائل اللغوية والفقهية والكونية وغيرها ويقدم رأيه في كل ذلك. في قوله تعالى: [إذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحكي الموتى] [البقرة: ٢٦٠]. يقول الألوسي:

«يعجبني ما حرره بعض المتحققين في هذا المقام، وبسطه الرب عن الخليل - u - من الكلام، وهو أن السؤال لم يكن عن شك في أمر ديني والعياذ بالله، ولكنه سؤال عن كيفية الإحياء ليحيط بها علماء، وكيفية الإحياء لا يشترط في الإيمان الإحاطة بصورتها. ولما كان الوهم قد يتلاعب ببعض الخواطر فتنسب إلى إبراهيم وحاشاه شكاً من هذه الآية» (٤١) يستفيد المترجم من التفسير فيقول:

«Lors Abraham dit: mon seigneur, fais – moi voir comme tu ressuscites les morts» (42).

٥ - مفاتيح الغيب للفخر الرازي: من أشهر التفسيرات لاهتمام صاحبه بالعلوم المختلفة من رياضيات وعلم فلك وفلسفة وفقه وحتى علم الكلام. يبدو تأثر جاك بيرك به واضحاً؛ ففي قوله تعالى: [ولا تيأسوا من روح الله] [يوسف: ٨٧] يقول الرازي: «الروح ما يجده الإنسان من نسيم الهواء فيسكن إليه، أو هو كل ما يهتز إليه الإنسان ويلتذ به، وقال ابن

عباس روح الله رحمته، أما ابن زيد فقال فرج الله وقال قتادة فضل الله» (٤٣) ويختار جاك بيرك في تفسيره تعبير الرازي فيقول:

«Ne désespérez pas du soufflé apaisant de dieu» (44).

فهناك تشابه بين المفسرين، فهو يعتمد على التفسير لا على المتن، وهي الآلية أو المرتكز الذي اتبعه في ترجمته.

٦ - تفسير القرآن الكريم لابن كثير القرشي الدمشقي:

يعدّ هذا التفسير من المصادر التفسيرية المهمة التي يعود إليها الباحثون والمتخصصون في العلوم الإسلامية، وبخاصة في مجال الدرس القرآني، غير أن جاك بيرك لم يشر إليه في المراجع التي اعتمدها في ترجمته، لكن كان يذكره أحياناً ضمن الترجمة على النحو الذي أشار إليه، وهو يترجم هذه الآية:

[يوم ندعو كلّ أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتيلًا] [الإسراء: ٧١] يفسرها ابن كثير بقوله: «كلمة إمامهم تعني نبيهم أو كتابهم الذي أنزل على نبيهم من التشريع» (٤٥) أما جاك بيرك فيذكر أنه أخذ مفهوم إمامهم من ابن كثير حين قال:

«On adopte ici l'interprétation d'Ibn kathir: qui voit dans imam l'écrit» (46).

ولكنه في نهاية الأمر يترجم كلمة إمام بالقائد إذ يقول:

«au jour ou nous appellerons par le nom de leurs conducteurs toutes le series d'humains» (47)

على أن كلمة إمامهم تعني نبيهم أو كتابهم الذي يأخذونه بأيمانهم أو شمائلهم، أو تعني كتابهم المنزل عليهم، كما هو واضح في كتب التفسير.

٧ - تفسير محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي:

ولد القاسمي عام ١٨٦٦ - وتوفي سنة ١٩١٤. يقوم تفسيره على اعتماد الكتاب والسنة، كما يستفيد من التفاسير القديمة عند الزمخشري وابن كثير والرازي والطبري.

إن المتتبع لترجمة جاك بيرك يلقي صاحبها يحيل باستمرار إلى تفسير القاسمي؛ ففي قوله تعالى مثلاً:

[من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها] [النساء: ٨٥].

نجد القاسمي يفسرها على النحو الآتي: «من يشفع حسنة: يتوسط في أمر، فيترتب عليه خير من دفع ضرر، أو جلب نفع ابتغاء لوجه الله، وعكسها الشفاعة السيئة.

يكن له كفل منها: أي نصيب من وزرها الذي ترتب عليه سعيه، مساو لها في المقدار من غير أن ينقص منه شيء» (٥٨).
ترجمة جاك بيرك:

«Qui intercede de mauvaise intercession, en subira une parcelle» (49).

وهذا ما أشار إليه المترجم بنصيب. Une parcelle.

نماذج من تفسيرات المترجم الشخصية:

تعتمد ترجمة جاك بيرك للقرآن على التفسير السابقة، وهي الآلية أو المنهج الذي سار عليه، غير أنه في حالات يرجع إلى آلية أخرى وهي اعتماد التفسير الشخصي؛ حيث يصطدم بلفظة تحتمل معاني كثيرة، الأمر الذي يجعل التفسير غير مستقر على معنى ثابت، وهو الدافع الذي يجعله يميل إلى دلالة واحدة للفظة التي وقع من حولها الخلاف في التفسير، أو لأنها تتسم بالترادف أو الاشتراك اللفظي، كما هو جار في الدرس البلاغي العربي.

وحتى تتضح الفكرة، أقدم نماذج تفسيرية من آراء جاك بيرك الذاتية؛ ففي قوله تعالى: [نحن نسبح بحمدك ونقدس لك] [البقرة: ٣٠].

جاء تفسير الطبري هكذا: «فالملائكة يذكرون أنهم يسبحون أي يعظمون الله وذلك بحمده وشكره، وكذلك يقدسونه أي يعظمونه ويجلونهم. وهذا المعنى متفق عليه في التفسير» (٥٠).

بينما تفسير جاك بيرك لها كان على هذا النحو:

«Alors que nous autres célébrons par la louange ta transcendance et la sainteté» (51).

«فالفعل Célébrons يعني حمد الله أو إقامة القداس له في الديانة المسيحية أما Louange فهو الثناء على الله» (٥٢).

يقول الله تعالى: [الله لا إله إلا هو الحي القيوم] [البقرة: ٥٥] في هذه الآية إثبات الألوهية لله الواحد القهار، وكونه حياً لا يموت، وهو القائم على شؤون ما في السموات والأرض، هذا التقسيم مطرد لدى جميع المفسرين، غير أن جاك بيرك يقدم تفسيراً جديداً لكلمة القيوم؛ إذ يقول في ترجمته:

«Dieu, il n'est de Dieu que lui, li vivant, l'agent supreme» (53).

«فالقيوم عنده: «القائم الأسمى» ولعله استمدّها من العالم هيدغر» (٥٤).

٣ - قال تعالى: [إن إبراهيم كان أمة] [النمل: ١٢٠] يترجمها جاك بيرك بقوله:

«Abrham fut un archetype, un dévot» (55).

«وهنا يطرح جاك بيرك مبدأ التساؤل والحيرة، ويلغي من قناعته ذلك الحكم الجاهز والقبلي، فيتساءل عن كون إبراهيم يشكل أمة Communauté لوحده» (٥٦) فهو يرى من الأفضل ترجمة المثالي: وهو اختراق للمعنى الذي أرساه القرآن.

٤ - قال تعالى: [وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة] [البقرة: ٤٣] نجد المفسرين يتفقون على أن الزكاة هي إخراج مال بغرض النماء والتطهير بلغ النصاب وحال عليه الحول، يقول الطبري في تفسيره هي «تطهير لما بقي من مال الرجل لأن المال يزكو أي يتطهر ويزيد» (٥٧) يترجمها جاك بيرك بقوله:

«Accomplissez la prière acquittez la purification» (58).

«فالفعل Acquittez يراد به Se libérer d'une obligation أي يتخلص من فرض وواجب» (٦٩).

وهكذا فإن الترجمة تنص «تخلصوا من فرض التطهير، أو إذا أردنا تقريب المعنى أدوا التطهير» (٦٠). وهذا المعنى يبتعد عن غرض المعنى الوارد في الآية الكريمة.

٥ - قوله تعالى: [فذبحوها وما كادوا يفعلون] [البقرة: ٧١] أي قاربوا أن يدعوا ذبحها. وهذا المعنى يجمع عليه كل كتب التفسير، لكن جاك بيرك يفسرها على هذا النحو:

«Ils sacrifièrent la bête en rechignant»(61)

أي إن إحالتهم حين أرادوا ذبحها كانت عابسة نافرة من التضحية En rechignant أي: بنفور وعبوس.

من هنا ندرک أن جاك بيرك كان يقترب من المعنى العام ولا يؤديه بدقة؛ فهو يصف حالتهم وصفاً حسيّاً، يلتقط ملامحهم في حين أن كلمة (كادوا) تخفي دلالة النفور والعبوس ولا تظهرها، وهنا انزل جاك بيرك نحو معنى أمله عليه ذاتيته، فجانب الصواب.

والحقيقة؛ أن مسألة ترجمة القرآن تظل قائمة ومستمرة، ولا يمكن أن تحوز أية ترجمة للقرآن الكريم راحة وأفضلية، تزكيها لأن تكون ترجمة وفيّة ونهائية تقطع السبيل أمام أية ترجمة مرتقبة، على أن ذلك لم يمنع الترجمات التي تعاقبت على المتن القرآني من أن يحدث بينها تفاضل وتمايز، غير أن الصعوبة في نقل المعاني القرآنية هي الهاجس الأساس في عملية الترجمة؛ إذ لا يمكن أن تفي أي لغة بهذا الغرض. مما يجعل لغة القرآن - في مجال الدرس البلاغي بكليات أبعاده البيانية والبديعية - في تعال أبدي عن التقويم والترجمة التطبيقية، لأنها لغة غار حراء، لغة أقرأ، لغة الإله الواحد الصمد. والواقع أن هناك أنواعاً من الترجمات التي قاربت النص القرآني، منها الترجمة الحرفية، والترجمة التفسيرية، الترجمة على الترجمة، الترجمة البائنة، الترجمة الحرة، الترجمة الاقتباسية، الترجمة الاصطلاحية، الترجمة التخاطبية.

ولعلّ الأنسب لترجمة القرآن هي الترجمة التفسيرية، لأن قوامها مصادر التفسير الكبرى، وفي ذلك ترجيح للرأي الأصوب وحصر للمعنى الأقرب، ثم إنها ترتبط بالنصوص المقدسة ذات الطابع الإخباري، على أن القرآن الكريم نص إخباري بالدرجة الأولى، لكن بنيته النصية لا تخلو من ازدواجية بين الإخباري والتعبيري، وهذا يفرض على المترجم التعامل مع النص بالتركيز على ترجمة المعاني ومحاكاة الأسلوب.

لقد عدّ العلماء الترجمة التفسيرية أفضل وسيلة تبليغية لنقل المعاني العامة التي يضمها النص القرآني. كما أنها تسهل على المترجم نقل المعاني بالاعتماد على النص الأصلي. «أما المترجم ترجمة تفسيرية، فإنه يعتمد إلى المعنى الذي يدل عليه تركيب الأصل في فهمه، ثم يصبه في قالب يؤديه من اللغة الأخرى موافقاً لمراد صاحب الأصل، من غير أن يكلف نفسه عناء الوقوف عند كل مفرد، ولا استبدال غيره به في موضعه» (٦٢) بمعنى أنه ليس مطلوباً منه المحافظة على النظم القرآني من حيث التركيب والمعنى، وإنما يفهمه بشكل عام، ثم يصوغه باللغة التي يجيدها.

يلاحظ أيضاً أن المترجم في ظل الترجمة التفسيرية يتمتع بهامش من الحرية، يكلفه له هذا النوع من الترجمة التي هي في رأي بعضهم «شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى من دون مراعاة لنظم الأصل وترتيبه، ومن دون المحافظة على جميع معانيه المراد منه» (٦٣). ولكي تكون الترجمة التفسيرية وفيّة، لا بد أن تمر بمراحل محدّدة؛ هي:

- أ - مرحلة استخراج المعلومات من النص المصدر؛ أي الفهم.
- ب - مرحلة تحليل المعلومات وبناء المعنى؛ أي التفسير والتأويل.
- ج - مرحلة بناء الترجمة ووضع صورة نهائية للنص.
- د - مرحلة مراقبة مجموع العمل بالمقارنة بين الأصل والترجمة؛ أي المراجعة والتقييم» (٦٤).

ولقد نعلم أن الترجمة التفسيرية على الرغم من الحرية التي تمنحها للمترجم، إلا أنها تغفل جانباً مهماً من الواجهة الفنية التي يتحصن بها المتن القرآني، وبخاصة ما يتعلق بالنظم؛ فلا يكفي أن يترجم المعنى ثم ينقله بلغة أخرى، وهنا يستخدم لغته ومفرداته التي تعجز عن نقل المعاني البلاغية والصور البيانية نقلاً أميناً. من هذا المنطلق، كانت الآليات المقترحة للقيام بالترجمة التفسيرية غير كافية، الأمر الذي جعل المشتغلين في حقل الدرس القرآني حريصين على تقديم اقتراحات فاعلة وبناءة، كما هو الشأن بالنسبة لندوة ترجمة القرآن المنعقدة بمجمع الملك

فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة في أبريل ٢٠٠٢؛ حيث رأى المشاركون أن أنسب ترجمة للقرآن الكريم هي الترجمة التفسيرية، مع تعداد بعض الشروط التي ينبغي أن تتوفر فيها؛ وهي:

«أ - الالتزام بترجمة معاني القرآن الكريم، وتجنب الترجمة الحرفية.

ب - الالتزام بوحدة الألفاظ القرآنية المتكررة، ما لم تختلف معانيها وفقاً للسياق.

ج - الإبقاء على المصطلحات الإسلامية التي يتعذر ترجمتها إلى اللغات الأخرى بلفظها العربي، مع شرحها في قائمة تلحق بالترجمة، كالصلاة والزكاة والحج والعمرة.

د - كتابة الأعلام عند الترجمة إلى اللغات الأخرى بلفظها العربي، مع الإشارة إلى لفظها بتلك اللغات إن وجد، في الحاشية أو بين قوسين» (٦٥).

على أن تكون هذه المقترحات مشفوعة بمتابعة عملية تشدّد فيها همم العلماء، بغرض خدمة هذا الكتاب العظيم ونشره وتوزيعه على العالم، وتعيين هيئة علمية خاصة تجيد أهم لغات العالم. تكون في نهاية الأمر مؤهلة لترجمة القرآن الكريم بعناية فائقة، حتى يظل القرآن محفوظاً لفظاً ومعنى، كما أكدته الآية الكريمة: [إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون].

الإحالات:

- ١ - مقالات Isiamweb. Net.
- ٢ - شيخ الشباب عمر: «التأويل ولغة الترجمة»، دار الهجرة، بيروت لبنان، ص ٣٧.
- ٣ - مقالات Islamweb. Net.
- ٤ - شيخ الشباب عمر: «التأويل ولغة الترجمة»، ص ٣٨.
- ٥ - أبو شهبة محمد: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير»، دار الجيل - بيروت لبنان ١٩٩٢، ص ٣٧.
- ٦ - مقالات Isiamweb. Net.
- ٧ - الزرقاني محمد عبد العظيم: «مناهل العرفان في علوم القرآن»، دار الفكر - بيروت - د.ت، ص ١٦٣.
- ٨ - الصابوني محمد علي: «صفوة التفاسير»، دار القرآن الكريم - بيروت لبنان - ط٤ ١٩٨١، ص ٣١١.
- ٩ - الزرقاني محمد العظيم: «مناهل العرفان في علوم القرآن» ص ١٦٣.
- ١٠ - نفسه، ص ١٦٣.
- ١١ - الزركشي: «البرهان في علوم القرآن»، ج ١ - ص ٤٦٤.
- ١٢ - الزرقاني محمد العظيم: «مناهل العرفان في علوم القرآن»، ص ١٦٢.
- ١٣ - مقالات Islamweb.net.
- ١٤ - مقالات Islamweb.net.
- ١٥ - البنداق محمد صالح: «المستشرقون وترجمة القرآن الكريم»، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٠، ط١، ص ٦٥.
- ١٦ - (بن العالي عبد السلام): «في الترجمة»، دار الطليعة بيروت - لبنان ٢٠٠١ - ط١، ص ١٣.

-
- ١٧ - مكاوي: «الوعي الإسلامي» www.mekkaoui.net ص ٢.
- ١٨ - نفسه ص ٤.
- ١٩ - نفسه ص ٥.
- ٢٠ - الصغير محمد حسن علي: «المستشرقون والدراسات القرآنية»، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢ - بيروت لبنان ١٩٨٦ - ص ٤٨.
- ٢١ - النعيمي صادق محمد: «ملاحظات نقدية على ترجمة شوراي للقرآن الكريم»، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٣٤، أبريل ١٩٩٨، ص ١٧٣.
- ٢٢ - [http. Fr. Wikipedia. Org](http://Fr.Wikipedia.Org) وينظر، محمد تاج: جاك بيرك - رجل الضفتين، مجلة دراسات جزائرية - ع ٤، ٥، العدد ٣٤، إبريل ١٩٩٨ - ص ١٧٣.
- ٢٣ - العريس إبراهيم: «حوار مع جاك بيرك»، مجلة الحدث، ع ١١ - ٢٠٠١، ص ٥٦.
- ٢٤ - Quel Islam. Biblio monde. Com. P1
- ٢٥ - نفسه ص ٢.
- ٢٦ - Katharina reiss: op.cit – p 15
- ٢٧ - طاهر بن عاشور: «التحرير والتنوير»، الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤، ج ١، ص ١٣.
- ٢٨ - Berque Jacques: op. cit – p 2013
- ٢٩ - نفسه ص ٢٠٢.
- ٣٠ - طاهر بن عاشور: «التحرير والتنوير»، ج ١٠، ص ١٦٠.
- ٣١ - نفسه، ج ١٣، ص ١٤٤.
- ٣٢ - Berque Jacques: op. cit – p 262
-

- ٣٣ - القطان مناع: «مباحث في علوم القرآن» القاهرة مصر ١٩٩٧ - ط ١٠، ص ٢٥٤
- ٣٤ - الطبري: «جامع البيان عن التأويل أي القرآن»، ج ٥، دار الفكر بيروت ١٩٨٤، ص ٥.
- ٣٥ - Berque Jacques: op - cit - p99
- ٣٦ - نفسه ص ٩٩.
- ٣٧ - الطبري: «جامع البيان عن التأويل أي القرآن»، ج ٩، ص ٥٣.
- ٣٨ - Berque Jacques: op. cit - p180 - 83
- ٣٩ - الزمخشري: «الكشاف»، دار المعرفة بيروت، ط ٣ - ج ٢، ص ٤١.
- ٤٠ - Berque Jaques: op. Cit - p157 - 40
- ٤١ - الألوسي محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - دار الفكر، ج ٣ بيروت - لبنان ١٩٩٤، ص ٤٢ - ٤٣.
- ٤٢ - Berque Jaques: op. Cit - p64
- ٤٣ - الفخر الرازي: ج ٨ ص ١٩٩.
- ٤٤ - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٧٣.
- ٤٥ - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٧٣.
- ٤٦ - Berque Jaques: op. Cit - p302
- ٤٧ - نفسه ص ٣٠٢.
- ٤٩ - Berque Jaques: op. Cit - p 107
- ٥٠ - الطبري: «جامع البيان عن التأويل أي القرآن»، ج ١، ص ١٦٧.
- ٥١ - Berque Jaques: op. Cit - p 440
- ٥٢ - إدريس سهيل جبور عبد النور: المنهل - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر ١٩٩٠، ص ١٤٩.
- ٥٣ - Berque Jaques: op. Cit - p 62
- ٥٤ - إدريس سهيل جبور عبد النور: «المنهل» ص ١٤٩.

- ٥٥ - Berque Jaques: op. Cit – P 232
- ٥٦ - نفسه ص ٢٣٢
- ٥٧ - الطبري: «جامع البيان عن التأويل أي القرآن»، ج ١، ص ٢٠٣
- ٥٨ - Berque Jaques: op. Cit – p 440
- ٥٩ - Le rebert p 11
- ٦٠ - <http://fr.wikipedia.org>
- ٦١ - Berque Jaques: op. Cit – p 35
- ٦٢ - الزرقاني محمد العظيم: «مناهل العرفان في علوم القرآن» ص ١١٢
- ٦٣ - النجوي عبد الله عباس: «ترجمة معاني القرآن الكريم» (تقييم الترجمات)، كتاب الأصالة - ملتقى القرآن الكريم، ج ٢، دار البعث للطباعة والنشر، ص ١٦١
- ٦٤ - المودن حسين ص ٥٥
- ٦٥ - بيان ختامي لندوة ترجمة القرآن الكريم .Al watan. Com. s.a.

ملاحظة:

نظراً لكثرة الشواهد القرآنية فضّلت الإحالة عليها ضمن متن هذا البحث لا على الهامش. العنوان: د. مزارى شارف. كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة سعيدة ص ب: ١٣٨ حي النّصر سعيدة (٢٠٠٠) الجزائر. ■